اجمع شملكَ واعهد عهدكَ وأوثق دكة سروالكَ

أحمد عمر

الفضائية التي أطلق عليها مُنشئوها اسم العربية خالية من العروبة كخلو رقائق البطاطا المقلية بزيت السيارات الأصلي من الفائدة. لم يكن صاحب القناة يبتغيها فضائية مضحكة كوميدية، مثل موجة كوميدي، أو مثل فضائية «مش تقدر تمسك نفسك من الضحك»، أو حتى فضائية «المزايين»، «المزايين»، يا طويل العمر، فضائية أنشأها ثري عربي يعشق الذوق المرّيّنة بالجواهر والدرر، وأصوات رغائها، وسلاسل أسنمتها غير المكسوّة بالثلج، وكان يريد أن يكحل عينيه برؤيتها في الحل والرحل، لكنها أمست مسخرة. ولم تكن «العربية» (وهي فضائية ليبرالية أو نيوليبرالية) تفكر في العرافة والعيافة والتنجيم، كما فعل رفعت الأسد، فكان درّة برامجه عند إنشاء قناته برنامج تنجيم يقدّمه عَرّاف به شبه من الكاهن شق أو الكاهن سطيح، فقد غلب على ضحايا الكاهن الاضطراب والنقصان في الجسم والبنيان. الحال أنّ معمماً شيعيّاً تام الخلقة، لا يخلو لسانه من بيان، وجملته من سجعة، أصبح عرّاف الفضائية وكاهنها وغراب بينها، من غير علم قراءة خرائط الأجل في راحة اليد، أو معاجم الغيب في ذُقل الفنّاجين، اشتهر بنبوءة قتل نصر الله، التي قال له فيها منذراً جملته الشهيرة: «اجمع شملك واعهد عهدك واكثّب وصيتك فمن اشترك باعك». فأمست طرفة عند شطّار التيك توك «مستطرف العصر في كل فنٍّ مستظرف»، والتيك التوك خوارزميات، والخوارزمية مثل أشواك شجرة السدر، يعلق بها صوف الشاة فلا تفلتها، فتموت عطشاً، أو بين أنياب الذئاب إن لم يُنجدها الراعي.

ظهرت عشرات الطرائف على صفحات «التيك توك» التي تتّخذ من متن عبارته مطيّة للضحك والسخرية، قد سألت مصادفةً عن المنهل الذي نهل منه هذا العرّاف العجيب عبارته المسجوعة، والكهنة يسجعون العبارة، حتى قبل سجع الكهان، فقال لي: اقتبس جذوتها من أفلام الكاوبوي، فقد كانت عناوين أفلام الكابوي في الستينيات من القرن المنصرم صارمة، مثل: احفر قبرك، واحمل صليبك، واكتب وصيّتك، واذخر مسدسك، و«من أجل حفنة من دولارات». وقال لي ثانٍ: بل من جملة مسلسل الكرتون غريندايزر: «كافح شرّاً أبطل مكراً يحزم وإياه». .

أعود إلى العبارة التيكتوكية الظافرة، التي قال فيها التيكتوكر الطبّاخ: افرم بصلك واقطع لحمتك قطعاً صغيرة، وانقعها بالخلّ ساعة. وقالت التيكتوكرية لزوجها: اخلع حذاءك واجمع جراباتك، واجلس إلى المائدة. وتقول زوجة الزوجين المتآمِر للسفر محذّرة إياه من الخيانة: اجمع بصرك، واحفظ أمانتك، وإياك من اللعب بذيلك، فالخطر كبير. ويقول لي «النافي»، أسطرلاب البرّ والهدى والتقى والعفاف والغنى بالصوت العربي، وقد اختلط صوتُه بصوت التيك توك: خفّف سرعتك، وانعطف يميناً بعد مائة متر، فالمنعطف التاريخي خطير. هذه ليست عرافة وعيافة وكهانة، إنما هذه عمالة، فالرجل يلعب بذيله مع السلطة في عهد الأنظمة الساقطة في الربيع العربي، والعربية تخزّع به بخصوم ربتها إسرائيل.

وسألني صديق، وقد ظنَّ بي خيراً، وبرأيي حكمة، أنّ لنبوءات سيميسون وقع أكبر، فهل يطلعون على الغيب أم اتخذوا عند الرحمن عهداً؟ فقلت له: عند آل سيميسون من الملك والقوة ما يستطيعون به تحقيق الأحلام والرؤى وخطط القتل، لكن هذه ليست نبوءات، «كذب المنجّمون ولو صدقوا».

أعود إلى «العربية» التي ليس لها من اسمها نصيب، وكان أصدقاء لي في حي من أحياء «واتساب» قد أثنوا على بلاغة خالد مشعل في لقاء مع مذيعةٍ من «العربية»، أعادت عليه سؤالاً واحداً أربع مرات حتى تكيد له، فنجا من كيدها، وصبر عليها «صبراً استراتيجياً»، واللقاء، لم يعجبني، فمشعل في غنى عن اللقاء مع تلك الخبيثة، وكان يخاطبها بأختي الكريمة، ولو كنت محلّه لسخرتُ من رغاء المذيعة «المزيونة» وبعارها، وكانت فصاحتها تشبه فصاحة المترجم الآلي، كلها ألحان.

أول مرة أرى عرّافًا «كامل الأوصاف فتّي»، فالبصيرة تقوى بغياب البصر. نقل العرّاف المعمّم منازل نبوءاته إلى غزّة، فهدّد أبا عبيدة، فعافت القناة نبوءاته التي أكسدها أبو عبيدة، وقالت له: اجمع حقائبك، وأحزم ذيلك، وارنا عرض أكتافك.

ذلكَ النور الكريم

عبد الحكيم حيدر

المشي في الأسواق بعد انبثاق أوّل النور متعةٌ غامرةٌ هي الشعور ببركة النعمة في حالات اختلاطها بالناس، حينما يبدأ مُجلّلاً بأوّل النور وانتظار الناس أوّل أرزاقها. النور بداية لحركة الكون، ومتعة حركة الأشياء، والسعي وراء أوّل شفرات الرزق، مع ظهور أوائل الطير في الغبشة، وإشارات النور من القطارات الآتية من وراء المزلقانات، أو قطرات مطر، أو ضحكة مجلجلة في وسط غبشة السوق، أو مشاكسة معتادة مكان ركن الخضار أو الفاكهة، أولى خطوات الرزق، حينما يتضح للعبد من هواء الله المخلوق له تولّ بداية الخيط الأبيض من الأسود، متعة ظهور بدايات الورد على استحياء، من خلال اكمامه، متعة نزول الندى لي مناقير صغار اليمام حينما تهلّل الأمهات بأوائل بركات أوّل النهار مع أوّل الدف، ذلك النور الكريم الآتي لخلق الله بعد النوم في الكرابيس أو الأحلام التي لا تُطاوَل، أو شؤون الدنيا المتناقضة ودروبها الملتوية، كقول بعض الحقّ أو ربعه أو ثمنه، أو كتمانه أو خنقه في الحلق أو في القلب خشيةً، رغم أنه يُنطَق في العينين بلا موارية. متعة أن تنادي في أوّل النور على «عربجي» تحيل كان صديقاً لك في المدرسة من أكثر من نصف قرن، وترك المدرسة في بواكيرها، ومشى وراء عربة كارو وجحش في أسواق الخضار من دون أن يفارقها إلا ناماً، لحمل الدبش ومخلّفات البناء، وقد صار أكثر نحولاً من الماضي، ومع نور الله الكريم استطعتُ أن تتعرف إليه رغم النظّارة الفقيرة الشاحبة على عينيه، والغريب أنه نطق بحروف اسمك بحلاوة، وكأنّك تسمع اسمكَ للمرّة الأولى، فور سماعه أولى كلماتك عن ذلك النور الذي كان لكما في «اللطعة»، وذكّرته بكلمة «الهَبوش»، فمات من الضحك.

أول النور هو بركة للعبد، بركة أنه ما زال يعيش ويمرح ويعرفه أصحابه في غبشة السوق، حتى بعد أكثر من نصف قرن. جميل ذلك الإنسان بالمعرفة وبالذكرى وبالنور وبلقاء الأحبّة. أول النور، هو بركة للعبد الحي الذي يكافح فيها صامداً وراء أرزاقه البسيطة وبقايا أمله فيها، وبركة للميّت الذي فارقها وما زالت تلهج به الألسنة للطف معشره وذكراه، وخاصّة حينما تتذكّر مع صديقكَ في الغبشة بقيّة الأصحاب الذين رحلوا، مثل رجب أبو باجور، أو محروس أبو يونس، تاجر القرب القديمة في صباه على الدرّاجة القديمة في القرى البعيدة، الذي تزوّج صغيراً وصار له الشال والجلباب الصعيدي، الذي مات من سنوات في ورش الرخام تحت «الونش». يظلّ نور الله هناك يعمّر السوق، وتترك صاحبك على أمل أن تقابله بعد المغارب في مقهى أمّ كلثوم. إنّ استطاع أن يأتي. تمشي في السوق على أمل النسيان، فتتلاقى بالذكرى، الذكرى كتاب آخر يمشي خلف ظهرك من سنوات، وتزاحم حتى كتبك، ولا تتركك حتى في غبشة السوق.

النور هناك أصبحت له تلك الأوان البهيّة فوق خضار الزرع، والنيل غافٍ هناك تحت برودة الجو، وبعض مراكب صيد بلا الأحجار أو الأكياس، وهامات النخيل هناك، بعضها قد انحنى، مع تناسق أشجار الموز وقدوم الحافلات الصغيرة بالنسوة الفقيرات من العزّب إلى مداخل السوق، إنه النور يبدأ في التغلّب على أواخر غبشة الليل، إنه العمار والأرزاق وأوّل الصخب والكلام، والمفاصلة ما بين البشر، كما هو من آلاف السنين. كذلك اليمام الذي يحطّ على أول النهار وينظر في حيرة وتوجس، مرّة يقترب من بعض أرزاقه، ومرّة يبتعد ويخاف من ذلك الإنسان، ولا يحب السكينة داخل الأقفاص كالحمام. وحدها أفراخ الحمام في السوق، وبالكاد كساها الريش، تتأمّل مصيرها ما بين البيّاعين والمشترين، وتستوحش وضعها خلف الجريد، يظلّ السوق على صخبه، ويظلّ نور الحمام في القفص، والأرزاق تنطّ هنا وهناك، وتبدأ الشمس في فرش خيوطها فوق الخضار والعنب مع انطلاق النداءات من الحناجر. كلّ يوم، يعبّ المرء من الذكرى ويرمي منها في البحر، كي ينساها، أو على أمل أن ينساها. كلّ يوم يرمي منها في البحر، والبحر ليس بملآن.

إيقاف حرب السودان بالسياسة... مسار ثالث

أبو بكر محمد احمد إبراهيم

على الرغم من أن سؤال «من أشعل الحرب في السودان؟» ليس مهمّاً من منظور وقع الحرب على كلّ من اكتوى بنارها وآثارها المباشرة، وهؤلاء يمثّلون الملايين الذين يبحثون عن الأمن وحفظ الأنفس والأعراض والأموال، إلّا أن تدثر شيء من تعقيدات الإجابة عن ذلك السؤال قد يفيدنا في تفهّم مسار الطريق إلى إيقاف هذه الحرب واستدامة السلام من بعد.

ولعلّ كاتب هذه السطور يستهلّها بالتذكير بتصحيح الخطأ الذي ذهبت إلى أن حرب 15 إبريل (2023) وقعت بسبب الاتّفاق الإطاري، وقد وُجّهت تلك التصحيحات من قيادات راي وسياسيين وصحافيين في مجموعة القوى المدنية الثورية، على أساس أن الحرب وقعت بسبب رفض القوى الإسلامية ذلك الاتفاق، الذي يحرم الإسلاميين من المشاركة السياسية، عدا مشاركة رمزية لمجموعة من حزب المؤتمر الشعبي السياسية المتعاقبة، العسكرية منها والمدنية، في حقبة ما بعد الاستقلال، إلا أن تمرّد 15 إبريل تمثّلت فكرته في السيطرة على المركز وعلى السلطة أو ولاية من الولايات البعيدة، للضغط على المركز بمطالب واشتراطات، مهما علا سقفها. هذا هو الفارق الأكثر أهمية بشأن خطورة هذه الحرب. ولهذا هو يتطلّب تدبيراً وتفكيراً مختلفين، إن أردنا لهذه الحرب أن تكون آخر حروب السودان، وأن يتجنّب الوطن مزيداً من التشظّي.

دعا كاتب المقال، من الأيام الأولى لهذه الحرب اللعينة، القوى السياسية كافة، من على شاشة التلفزيون العربي، في إبريل/ نيسان 2023، لاصطفاف مع الجيش دبلوماسياً وإعلامياً وسياسياً، فهو من مؤسّسات الدولة رغم عيوبه المعلومة، على اعتبار أن الطرف الآخر قوات في رأس قيادتها أفراد تربطهم علاقة رحم وعصبية دم. وفي مشهد كهذا، فإن خسارة الجيش تعني خسارتنا جميعاً للوطن، من ناصر الجيش ومن عاداه، في حين أن انتصار قوات التمرّد لا يعني غير أن تستحوذ أسرة دقلو على السلطة بقوة الدفع، وأن تسوس الناس بالسباط والخيزران وتطلق يدها في القتل لأتفه الأسباب (أو بلا سبب)، بالقسوة والوحشية التي ما زالوا يمارسونها في هذه الحرب على العزّل من المدنيين.

الوقوف مع الجيش وقوف مع الدولة لوقف هذه الوحشية، ولذلك وجب مناصرة المؤسّسة العسكرية من غير تكسّب سياسي وبلا أجندة ضيقة، فمن غير ذلك لن يربح السودانيون الوطن ولا الأمان. لكن كيف يكون ذلك، خاصّة إذا علمنا أن جمعاً غفيراً من قواعد القوى المدنية الداعمة للاتفاق الإطاري يتخوّف من عودة الإسلاميين بعد الحرب من بوابة الجيش، لما بينه وبين تلك القوى، التي حكمت باسم مؤسّسته الدولة ثلاثة عقود احتكرت فيها السلطة وإدارة الثروة وبقيّة المؤسّسات. ويبدو أن الارتباك في التعبير عن هذا التخوّف أوقع القوى المدنية في حبال مساندة قوات الدعم السريع، بقصد أو من غير قصد، ما فاقم من أزمة الحرب، وعقّد رواياتها، وعسكر خطاب الأطراف المدنية ذاتها.

> التوافق عملية تعاقدية في الأساس، والأصل في استقرار الأوطان، وإن كان شبه متعذّر فهو لا ينفصل عن التراضي على الدستور واحترامه

في هذا السياق، يمكن أن نفسّر معاداة القوى المدنية السياسية وحلفائها في الداخل والخارج للجيش، على اعتبار أنهم يدركون أهمية هذه المؤسّسة بالنسبة لأنظمة الحكم غير الملكية في هذه المنطقة من العالم، حيث يتحكّم فيها الجيش بشكل مباشر؛ في الجزائر ومصر وسورية، ويمكن أن نضيف تونس ومن قبل اليمن، فالسودان ليس استثناءً. إذا أدركنا ذلك، نفترض أن منع هذا التجاذب بشأن حيازة السلطة عبر عسكرة السياسة يبدأ بالتفكير في مسار ثالث توافقي، تجد فيه الأطراف كلّها، الأيديولوجية منها والمناطقية، حظّها من الحضور في المؤسّسة العسكرية والسيادية، حتى لا نظلّ نراوح مكاننا، نخرج من أزمة إلى أزمة أعقد منها، ومن حركات تمرّد على المركز إلى انفصال في الجنوب، ومن حرب في دارفور إلى شدّ أطراف البلد وإفراغ سلطة المركز، ومن حراك ديسمبر (2018) إلى الاتّفاق الإطاري، ثمّ حرب 15 إبريل، ولا ندري ماذا ينتظرنا إن سرنا في الأخطاء السابقة ذاتها.

وإن جاز اقتراح خطوة عملية في هذا المسار الثالث (البديل) للتداول حول جدواها، يدعو كاتب المقال مجلس السيادة إلى تشكيل مجلس رقابي مناطقي، يعكس مكوّنات أقاليم البلد كافّة، من غير انحياز لمجموعة على حساب أخرى، للمشاركة الفاعلة في إقرار صيغة لإيقاف الحرب وتقرير مستقبل القوات المتمرّدة؛ وأن يتطوّر هذا المجلس الرقابي ليكون بمثابة برلمان انتقالي يُشرف على عملية اختيار رئيس الوزراء لفترة انتقالية محدّدة المدّة والمهام، على أن يتم اختياره من بين عدد من المرشّحين الذين يقترحهم أعضاء المجلس الرقابي ذاته من أهل الكفاءة والنزاهة بالتوافق مع مجلس السيادة، وأن يكون من مهام المجلس الرقابي وضع ضوابط دستورية حاكمة (بناء على تجارب الأمم والخبرة البشرية) للعلاقات العسكرية المدنية، التي كانت محلّ نزاع حادّ عشية وقوع الحرب في 15 إبريل (2023).

وبعد، انتهى كاتب هذه السطور إلى هذا الرأي بناءً على تقدير أن التوافق عملية تعاقدية في الأساس، وهو الأصل في استقرار الأوطان، وهو وإن كان شبه متعذّر بالنظر إلى التجاذب السياسي العدمي حول هذه الحرب، والمعبّر عنه في الفضاء العام وفي منابر السياسيين المتشاكسين، فإنه قضية لا تنفصل عن عملية التراضي على الدستور واحترامه، لأنه مرجعية السيادة ومصدر ما دونها من تشريعات. ولذلك يجب أن تحتلّ عملية التراضي هذه سلّم أولويات إيقاف الحرب بالسياسة. إذ يبدو جلياً أن الاختلاف حول الجيش ما هو إلا عرض لأزمة فلسفة الحكم ووجهة العملية السياسية التي أرهقت البلاد. وقد كان الأمل بعد ديسمبر/ كانون الأول (2018) أن يُدار تدبير تلك المعضلة بمدارسة دستور 2005، والتفاكر حوله، في موائد للحوار السياسي والمجتمعي (مستديرة أو مستطيلة) تجنّباً للحرب وللنزوح وللقتل والدمار والخراب. أمّا وقد وقع ذلك كلّه فعلينا أن نتواضع على حلّ لأسّ الإشكال ذاته، عسى أن ينصلح حالنا، ونعتبر بقول الحقّ سبحانه وتعالى: «لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، نسأل الله الهداية والتوفيق.

(كاتب وأستاذ جامعي سوداني)

كاريكاتير عماد حجاج

أحمد أبو الغيط رجل المرحلة

اسامة الرشيدي

يخرج الأمين العام لجامعة الدول العربية، أحمد أبو الغيط، من حين إلى آخر، من سباته العميق، ليُدلي ببعض التصريحات، ورغم الأحداث الجسام التي تمر بها المنطقة العربية في الوقت الراهن، إلا أن تصريحات أبو الغيط تصنع الحدث دائما، ليس بسبب علاقتها بالأحداث، بل لأسلوبه هو الصحيح!

رغم أنه أجرى، أخيراً، لقاء مع فضائية مصرية، ورغم الحروب والنزاعات التي تعاني منها المنطقة في فلسطين والسودان ولبنان واليمن وسورية وغيرها، لم تجد الصحف والمواقع الإخبارية في تصريحات أبو الغيط إلا حديثه عن أسعار الشطائر في بريطانيا والولايات المتحدة! ففي آخر إبداعاته، قال الأمين العام إن «الأسعار في بريطانيا وأميركا مخيفة بسبب التضخم»، مضيفا أنه يشتري الشطيرة في الولايات المتحدة بمبلغ 16 دولارا، بما يعادل 800 جنيه مصري، بينما يشتريها في مصر بمبلغ 15 جنيها. تقشف أبو الغيط دور «دبابة» إلكترونية، مهمتها تبرير الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعاني منها المصريون سنوات، وكأن أحدا لم يطلب منه أداء هذا الدور، كما أنه تغافل، مثل غيره من المبرّرين، عن ذكر جوانب أخرى من حياة الأميركيين، حتى تصحّ المقارنة، مثل متوسّط الرواتب والأجور هناك، مقارنة مع مثيلاتها في مصر.

اعتبر أبو الغيط، في اللقاء «المهم» نفسه، حصول العامل الزراعي على 150 جنيها في اليوم مكسبا كبيرا، «في دون أن يفكّر، ولو لحظة، كيف يمكن أن يعيش هذا العامل، وينفق على أسرته بمبلغ لا يصل إلى مائة دولار شهريا. ثم ما علاقته أصلا بالحديث عن شأن محلي خالص، وهو المفترض أن يتحدّث في القضايا العربية بحكم منصبه؟

قبل هذه التصريحات بأشهر، قال أبو الغيط، في لقاء تلفزيوني، إن التيار الكهربائي ينقطع يوميا في مسقط رأسه، لكنه تفاخر بأن زوجته «أصبحت خبيرة في الاتصال بالمسؤولين لتقديم الشكاوى»، حتى أنه اختلف مع المذيع الذي قال إن التيار يُقطع ساعتين يوميا، إلا أن تصريحات أبو الغيط تصنع الحدث دائما، ليس بسبب علاقتها بالأحداث، بل لأسلوبه هو الصحيح!

رغم أنه أجرى، أخيراً، لقاء مع فضائية مصرية، ورغم الحروب والنزاعات التي تعاني منها المنطقة في فلسطين والسودان ولبنان واليمن وسورية وغيرها، لم تجد الصحف والمواقع الإخبارية في تصريحات أبو الغيط إلا حديثه عن أسعار الشطائر في بريطانيا والولايات المتحدة! ففي آخر إبداعاته، قال الأمين العام إن «الأسعار في بريطانيا وأميركا مخيفة بسبب التضخم»، مضيفا أنه يشتري الشطيرة في الولايات المتحدة بمبلغ 16 دولارا، بما يعادل 800 جنيه مصري، بينما يشتريها في مصر بمبلغ 15 جنيها. تقشف أبو الغيط دور «دبابة» إلكترونية، مهمتها تبرير الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعاني منها المصريون سنوات، وكأن أحدا لم يطلب منه أداء هذا الدور، كما أنه تغافل، مثل غيره من المبرّرين، عن ذكر جوانب أخرى من حياة الأميركيين، حتى تصحّ المقارنة، مثل متوسّط الرواتب والأجور هناك، مقارنة مع مثيلاتها في مصر.

اعتبر أبو الغيط، في اللقاء «المهم» نفسه، حصول العامل الزراعي على 150 جنيها في اليوم مكسبا كبيرا، «من دون أن يفكّر، ولو لحظة، كيف يمكن أن يعيش هذا العامل، وينفق على أسرته بمبلغ لا يصل إلى مائة دولار شهريا. ثم ما علاقته أصلا بالحديث عن شأن محلي خالص، وهو المفترض أن يتحدّث في القضايا العربية بحكم منصبه؟

> لم يشرح أبو الغيط كيف يشعر الإنسان بكرامته مع افتقاده الخدمات الأساسية وحرمانه منها

وزير خارجية مصر ببنت شفة. وفي مذكّراته التي نشرها بعد خلع حسني مبارك عام 2011، برّر أبو الغيط تصرّفه بأنه يعتبر عن «شهامة الفرسان الكبار»!

المفارقة الدالة أن أبو الغيط لم يفوّت الفرصة ليعبّر عن رأيه في حالة الاشيء الذي يعيش، وتعيش معه فيها جامعة الدول العربية، إذ اعتبر ذلك «خفوتاً حنجورياً»، و«انعكاساً للإدارة العربية»، أي أنه يعتبر غياب الجامعة أمرا إيجابياً! يبدو أبو الغيط إذن خيارا مثاليا للتعبير الحقيقي عن الوضع العربي الراهن، بعدما عبّر قبل ذلك بدقة عن انهيار الدبلوماسية المصرية في أواخر عهد الرئيس الراحل حسني مبارك، وهو ما تجلّى في أنه كان وزير الخارجية الأخير في هذا العهد، وربما يكون تعيينه أمينا عاما لجامعة الدول العربية، ثم التجديد له، رغم أنه لم يفعل شيئا خلال ولايته الأولى، وحالة الموات التي عاشتها الجامعة خلال تلك السنوات علامة أكيدة على الانهيار الذي يشهده العمل العربي بشكل لم يسبق له مثيل.

(إعلامي مصري في الدوحة)

رجال «الدولة» المُرشّحون لقيادة المرحلة

دلال البزري

عودة إلى زمن يبدو الآن بعيداً، ولكنّه ليس كذلك: أكتوبر/ تشرين الأول من العام 2019؛ انتفاضة شبابية تبدأ بالاحتجاج على رفع تسعيرة الهاتف المحمول، وتتحوّل بسرعة إلى انتفاضة وطنية شعبية. والقصد من «وطنية» أنها تجمع للمرّة الأولى) أبناء الطوائف اللبنانية كافة. ودليلها أنها ترفع صوراً مرفقةً بشعار لافت رواجاً، «كلّن يعني كلّن»، عليهم كلّهم أن «يرحلوا». وفي الصورة وجوه كبار زعماء الطوائف اللبنانية. ومنذ البداية، كانت المشكلة أن من بين هؤلاء المطلوب منهم أن يتنحّوا، زعيم حزب الله، الراحل حسن نصر الله. فكانت مشكلة وبلْبلة، وتحمّست موجة قوية بين المتظاهرين، المشاركين والمُحتملين، للشعار، لكن مع حذف صورة حسن نصر الله واسمه. لماذا؟ ... ناس تقول إن نصر الله فوق الشبهات، وأخرى لا تريد أن تستفزّ حزب الله، إذ تخشاه وتخشى «بيئته»، فمشى بعضهم مستغنياً عن الصورة كلّها تفادياً للإشكالات المتوقّعة، وبعضهم الآخر أصرّ عليها، فاعتُبر مشاكساً. وعلى العموم، الانتفاضة أجهضت، ولم يبقَ منها إلا ذكريات السعادة المؤقّتة التي غمرتنا. هل حزب الله، بهجماته المتفرّقة والمتنوعة، وبكلمات نصر الله المُخوِّنة لحشودها، خنق الانتفاضة وقضى عليها؟ ربّما هذا عامل مهمّ، ولكن هل كان لحزب الله أن يكون وحده لو لم يستجب له الزعماء كلّهم الذين زفّت صورهم، ومن دون أن يشكّل الحكومة تلو الأخرى، ويفرض القرار تلو آخر، أو الرئيس، أو القاضي، أو المصرفي الأرفع؟ ولو لم تُفرّخ جيوب اللبنانيين في فضيحة سرقتهم بيد البنك المركزي، ولو لم تفرض جائحة كورونا على الجميع إغلاق أبواب بيوتهم على أنفسهم؟

الآن، حسن نصر الله في دبار الحقّ، والذين ارتقوا بفضله ما زالوا في قيد الحياة، والصورة تحقّقت: غاب نصر الله، وبقي الزعماء الآخرون. فمن هم هؤلاء الباقون؟ ... إنهم في العموم رجالٌ مدينون لحزب الله بارتقائهم، ببقائهم في رأس «الدولة»، يصدّرون صورة «دولة» إلى الخارج في مقابل «التعايش معه بسلام»، أي غضّ طرفهم عن انتهاكات الحزب كلّها ضدّ هذه «الدولة». ومن عناصر القوة لهذه المقايضة أن أولئك الزعماء كلّهم يغرفون من الصحن نفسه، أي الطوائف والمذاهب. من الطفهم حتى اغلظهم، يخاطبون «جمهورهم»، أبناء طائفتهم، انطلاقاً من «مصالحهم»، أي حصصها وامتيازاتها بالمقارنة مع الطوائف الأخرى، وينوع من التجييش العلني لشاعر هذا الجمهور، وهي دائما طائفية. ولسان حالهم يبدأ بالحملة الانتخابية، ويمرّ بمطهر التوظيف والحصّة «الكوسبونات»، ولا يتوقّف عند صفقات وضغوط وتوتّرات من أجل زيادة هذه الحصص أو إنقاصها.

وإن جاء في يال أحدهم الا يغضّ الطرف، ينطق بكلمات ضعيفة، لا صدىً لها، تكاد تصل إلى أصدقائه أو وسط الضيّق. ومن الشطارة بمكان أن يتمكّن من تسريب انزعاجه إلى إحدى الصحف أو إلى واحد من المواقع الإخبارية. مثل تلك الكلمة التي ردّدها غيرُ سياسي؛ «ضرورة النأي بالنفس» عن الحرب في سورية، عندما كان الحزب يحارب إلى جانب بشّار الأسد. و«النأي بالنفس» تحوّل واحدةً من النكات، تلقّفتها مسرحيات واسكتشات، عنوانها سؤال كوميدي واحد، «وينيّة الدولة؟» (أين هي الدولة؟).

في مقابل هذه الحماية للحزب، أو كلّما تحمّس هذا الزعيم أو ذاك في مدحه والتقرّب منه، كان نصيبه من غنائم الدولة أكبر. مثل ذاك النائب جبران باسيل، وعمّه ميشال عون، منذ عقدين من الزمن، عندما وقّع الأخير مع زعيم حزب الله فلحسن نصر الله وإسمه، «مذكّرة تفاهم»، وهي تقضي بأن يلتزم عون بحفظ سلاح الحزب، في مقابل أن يصعد هو إلى كرسي رئاسة الجمهورية. وفي الأحوال كلّها، ومهما اختلفت الدرجات وتموّجات اللحظة، كان أولئك الزعماء يحصدون خيراً عميماً من سكوتهم عن الحزب وتسيير أعماله، وكله في مقابل وصولهم إلى أحد مواقع البلاد أو مغانمها. صناديق الدولة كلّها مفتوحة لهم، مستباحةً، يسرحون ويمرحون بأموالها كيفما أصابوا، ينخرونها من أساسها، ومعها يقضمون على ما تبقّى من أخلاق سياسية.

بلغ مجد فسادهم حدّ، بعد الانهيار الاقتصادي العظيم الذي خرجوا منهم مليارديرين، أن المصارف العالمية والسفارات والمبعوثين ووكالات الائتمان... وكلّ من له علاقة بالانهيار الاقتصادي (هؤلاء كلّهم الذين يتلخّصون في كلمة «المجتمع الدولي»)، صاروا يعظون أولئك «الزعماء» بالأخلاق السياسية الحَسَنة، بالحوكمة والأمانة والشفافية. بعضهم تجاوز الدبلوماسية وتبنّى لهجة مؤنّبة، وما كانوا فعلوا لو لم يلتقطوهم بالجرم المشهود؛ يصفون بدقّة تجاوزاتهم للقانون، وسرقاتهم الموصوفة، وفسادهم العضوي، المنظّم والعميق. ولكنهم منافذه «وإنجازاته»، صار هذا الفساد دليلاً عملياً للمواطنين الذين أرادوا تسيير أمور حياتهم، فباتوا لا يستهلّون تلك الأمور إلا بالتواطؤ معه. ولكنهم اليوم يواجهون تحدّياً غير مسبوق، بعد الحرب الإسرائيلية على حزب الله، والقضاء على ساحته (؟)، بل أثناء تلك الحرب، على هؤلاء الزعماء خلع اللباس القديم، وارتداء الجديد الذي يفصّله «المجتمع الدولي»، ويقولون إنه يليق بهم، أو يتصرّفون على هذا الأساس.

قد يتبادر إلى خاطر أحدهم أن هذا الانقلاب صعب. أو أن الصعوبة تزيد من درجة التقزّز والالتحاق بحزب الله أثناء فترة سطوته على لبنان. والأمر لا يجري تماماً في هذا «الانتظام» العقلاني، فما أن بادر الخارج بطرح مشاريع ومراحل والتزامات جدّية بالتخلّص من الحزب، حتى خرجت التنوّعات. أولهم (أشهرهم ربّما) جبران باسيل نفسه الذي صنع مجده من تفاهمات عمّه مع حزب الله، وكان يشجّع قبل شهرين حزب الله على مشاغلة إسرائيل، لم يتأخّر في تعديل بوصلته، وهو يؤكّد مثلاً أن عديداً «من اللبنانيين يشعرون بالسعادة لأن سلطة النقض التي يتمتع بها حزب الله قد تحطّمت».

> الذين ترعرعوا تحت ظلّ حزب الله مطلوب منهم اليوم أن يقودوا مرحلة ما بعده. بأيّ عقلية، بأيّ أخلاقيات أو عبارات أو مشاريع؟

الخطى نفسها يسير الآن زعيم طائفة أخرى، وإن بأسلوب مختلف. أما أكثرهم شراهة، ونال قسطاً من العُلى يفضل حزب الله، ويفضل علاقاته بالمخابرات السورية، فهو ذو أنف مرهف، يلتقط اتجاهي الريح، يهجو حزب الله بكل ما أوتي من قاموسه الجديد الملائم للمرحلة، ولكنّه لا يتخلّى عن قاموسه القديم في مغازلة حزب الله، أو في علاقته بالمخابرات السورية. وثالثهم وزير سابق، كانت له جولات وتسويات وتفاهمات مع حزب الله، أقل وزناً من تلك التي أبرمها زميله أعلاه. ولكنه (الوزير) أكثر رقةً من الاثنين الأولين، يتخيّل المرحلة المقبلة بقيادة الزعماء أنفسهم، أي بقيادته هو لطائفته. يدغدغ مشاعرها «الوطنية»، يضرب على وترها الحسّاس، ثمّ ينتقل إلى النقطة الأكثر أهمّية من أنه لا بدّ أن يكون الحكّام المقبلون هم أنفسهم الحكّام الحاليون، أي الزعماء الذين نحن بصددهم. لماذا يا سيادة الوزير؟ ... «لأنه يستحيل أن ننظم انتخابات نيابية من الآن وحتى عشر سنوات مقبلة، وربّما أكثر، وهو الوقت الذي سنحتاجه لإعادة الإعمار». أي أن نهوض لبنان بعد الحرب سيتمّ بيده، وبيد نظرائه من زعماء الطوائف المنتِجَين.

وثمّة اختلاف بالوتيرة بين الباقين. المستعجلون لنهاية الحزب (وهم زعماء طوائف أيضاً) درجوا على معارضة الحزب من داخل النظام الطائفي، بحسّون جمهورهم، أمّا «المتباطئون»، فإنما ينتظرون خاتمة الحرب، أو أنهم ما زالوا يخشونه، أو لم يعتادوا بعد على غيابه، أو أنهم غير قادرين على تصوّر لبنان من دونه، أو اصبوا بمتلازمة ستوكهولم (تعاطف الفرد مع عدوه أو مع من أساء إليه). وناتي إلى المرتاح الفاقعة، وهي أن الرجال أنفسهم، الذين ترعرعوا في الفترة الماضية تحت ظلّ حزب الله وتعيّناته وترقياته وتسهيلاته، مطلوب منهم اليوم أن يقودوا مرحلة ما بعده. بأيّ عقلية، بأيّ أخلاقيات وعبارات أو مشاريع؟ لا يهمّ «المجتمع الدولي» الإجابة عن هذه التساؤلات، وهذا أمر طبيعي. المهمّ عنده تنفيذ خطته. هذه التساؤلات تعني أهل البلاد، وقد تكون أخبار الإجابة عنها أولى خطواتهم لإنتاج رجالٍ نظفاء يستحقّون صفة المسؤولين.

(كاتبة لبنانية)

ترامب الثاني أو عواصف من قلقنا

معن البياري

نُغادر حكاية السبّيّ والأكثر سوءاً، بحسم الأخير فوزَه رئاسة الولايات المتحدة، فنعبُر إلى ترقّب ما سيصنعه دونالد ترامب الثاني، وقد صار في الثامنة والسبعين عاماً، فينا، نحن العرب، وفي العالم، وفي أميركا. لنا كلّنا خبرةٌ فيه، فقد حدث أن أقام في البيت الأبيض أربع سنوات، قبل أن يخلفه جو بايدن. نكون على حقٍّ لو قلنا إن كابوساً ثقيلاً تمثّله عودته هذه إلى رئاسة أقوى دولة، فالذي نعرفُه عنه غير مطمئن، مقلق. وهذا لا يشير إلى أن الخاسرة كامالا هاريس كانت ستتبنّى العدالة والإنصاف في العالم، فترى عذابات الغزّيين واللبنانيين، جرّاء التوحّش الإسرائيلي، وتلتفتُ إلى دور قوي لبلادها من أجل وقف عذابات السوريين والسودانيين واليمنيين. وإنما يشير هذا إلى منسوبٍ أعلى للعجرفة والصهيونية والعنصرية والاستقواء، لدى ترامب وفريق إدارته المرتقَب. وعندما يكون نتنياهو أول مهنّئي المرشّح الفائز، متهجّما به، أعظم عودة في التاريخ، فهذا شاهدٌ على تحالفٍ سيتجدّد بين اثنيهما، وهما صديقان، في الضيّ إلى أقصى خيارات التطرّف في تمويت قضية فلسطين، وتحويلها شأناً استثمارياً، على ما حاولا في الخطّة التي أعلنها ترامب «صفقةً» من أجل السلام في المنطقة. وفي البال أن الرئيس المتجدّد أعلن عن عدم رضاه عن صغر مساحة إسرائيل. وقد جاءت طريفةً «ثقة» الرئيس محمود عبّاس بأن الولايات المتحدّة ستدعم، تحت قيادة ترامب، تطلّعات الشعب الفلسطيني، على ما أفضى في برقية تهنئة طيّرها إلى صاحبها.

سيُزعج رئيس أوكرانيا، زيلينسكي، فليس خافياً أن غريمَه رئيس روسيا فلاديمير بوتين كان يمنّي نفسَه بخسارة هاريس، ويُعلن أمس في موسكو أنه ينتظر أن يرى أفعالاً ملمو

ماكرون في المغرب... ملاحظات وأسئلة

كمال عبد اللطيف

أتاحت زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون المغرب، الأسبوع الماضي، الوقوف على الأدوار الجديدة التي أصبحت تمارسها أدوات التواصل الاجتماعي ووسائطه في حياتنا وداخل مجتمعاتنا. وإذا كنّا قد اعتدنا، منذ سنوات، أن نقيم فواصل بين ما يجري في الواقع وما يجري تداوله في الوسائط المرتبطة بتقنيات العالم الرقمي، فإننا نتصوّر، في ضوء التطور في عوالم الفضاء الأزرق، أن أنماط الحضور التي تواصل بسطها في واقعنا تدعونا إلى مزيد من التفكير في صور علاقتها بالواقع، والتفكير، أيضاً، في مأسستها، من أجل تحويلها إلى واحدةٍ من أدوات الارتباط المتفاعل والمؤثر في مجريات الواقع، حيث تترك آثار تفاعلها المركّب والمتعدّد مع الأحداث الجارية كثيراً من النتائج، التي يفوق مفعولها مختلف الآثار التي يمارسها الفاعلون الذين نُدرجهم في خانة الإعلام الكلاسيكي والواقع الفعلي، المقابل في تصوّرنا اليوم للواقع الافتراضي. في الإعلام الواقعي الرسمي والمعارض، في المغرب وفرنسا، أو في إعلام بلدان كثيرة تابعت الزيارة، نتابع نتائج الحدث من خلال البيانات المُوَقّعة والمُعلنة بين طرفيها، كما نواجه بعض خطابات التحفظ أو التواطؤ مع المحتويات التي تضمنتها، حيث وُجِّهَت، بشكل محتشم، انتقادات إلى الاستعمار الفرنسي للمغرب، وأشار بعضها الآخر إلى جوانب من تبعية المغرب لفرنسا. كما نواجه مواقف جرى فيها الاحتفاء بموقف فرنسا من مغربية الصحراء ودعمها مقترح الحكم الذاتي في إطار السيادة المغربية، باعتباره الحلّ المناسب لمختلف الآثار المترتبة عن تركة الاستعمار الإسباني لشمال المغرب وجنوبه. إلا أن هذه المواقف المعبّر عنها في الإعلام الرسمي لا تضاهي التعبيرات النقدية المتواصلة للزيارة في شبكات فضاءات التواصل الاجتماعي. وتسمح لنا معاينتنا منتوج هذه الفضاءات المتنوّع والمركّب أن

> ارتبطت زيارة ماكرون المغرب بجملة من السياقات والأحداث المحلية والإقليمية والقارّية، كما ارتبطت بإشكالات سياسية وتاريخية يصعب عزلها عنها

نفكر في حدود الواقعية في المجالين، وقد تدفعُنا إلى تجاوز التقسيم المفترض بين عالم الواقع وعالم وسائط التواصل الاجتماعي، أن نتحدّث عن الواقع الذي أصبح يستوعب اليوم وجهين متكاملين ومتباعدين، حيث يتمم الثاني ما سكت عنه الأول، ويرسم الأول الحدود التي لا يتردّد الثاني في تخطّيها، كاشفاً محدودية ما يفكّر فيه الأول. ولهذا الأمر نتائج ومخرجاتٌ تختلف عما ألفناه قبل بروز عالم الفضاءات الافتراضية بمحاذاة العالم الواقعي وفي قلبه. لم يعد ممكناً التفكير في قضايا السياسة والمجتمع والاقتصاد، وفي العلاقات بين الدول اليوم، انطلاقاً من زاوية واحدة مغلقة، فقد تلاشت بصور ملحوظة الهيمنة التي كان يُمارسها الواقع المفرد وهو يفكّر في تحوّلات العالم وأسئلته، وبرز تصوّر جديد ارتبط بوسائط التواصل الاجتماعي، وأصبح له حضور مُماثِل لمواصفات الواقع الفعلي.

ارتبطت الزيارة بجملة من السياقات والأحداث المحلية والإقليمية والقارّية، كما ارتبطت بإشكالات سياسية وتاريخية يصعب عزلها عنها، ووجدت في الإعلام الرسمي الكيفيات التي تساعد في عمليات التخلص منها، حيث جرى الاكتفاء بعرض المواقف والعناوين الكبرى للخيارات الاقتصادية والمالية، المرتبطة بأشكال التعاون التي تم الاتفاق عليها بين الدولتين. أما مواقف الإعلام الرقمي وخطاباته وصوره، فقد رسمت للزيارة ومختلف ما دار فيها أبعاداً كثيرة، ابتداء من حفل الاستقبال والبروتوكول إلى حفل العشاء، ومروراً بخطاب ماكرون في البرلمان المغربي بغرفتيه. تحوّلت الزيارة في فضاءات العوالم الافتراضية إلى مناسبة لبلورة مواقف مختلفة بأصوات وصور ومعطيات ترتبط بالأدوار المنتظرة منها، بعد الأزمة الديمقراطية التي تعيشها فرنسا. كما جرى التوقف أمام الوضع الصحي للملك، حيث تَمّ إبراز لحظات ومواقف تتسم بكثير من الجهد وكثير من التحدّي، الأمر الذي يمكن أن يوضح أدوار الخيارات السياسية في بناء لحظات استثنائية في التاريخ وتاريخ العمل السياسي بالذات، بكل أسئلته وتحولاته.

لم يهتم إعلام الشبكات بالتحالف الاستراتيجي بين الدولتين، ولم يقترب كثيراً مما أطلق عليه بيان الزيارة اسم الشراكة الاستثنائية بين المغرب وفرنسا. واتجه مدوّنو وسائط التواصل إلى نقد الموقف الذي عَبَّر عنه ماكرون في البرلمان المغربي عندما وصف فعل المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى «بالهجوم البربري والإرهابي». وتحدّث عمّا سمّاه «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، متناسياً التفكير في حقوق الفلسطينيين في استرجاع أرضهم والدفاع عن أنفسهم. كان يُمَرَّر رسالة مكشوفة تعبر عن صور انخراط فرنسا في دعم المواقف الصهيونية وإسنادها. وإذا كان الإعلام الرسمي قد حاول إبراز اعتراف ماكرون بأخطاء الاستعمار الفرنسي في المغرب، إلا أنه لم يتعرّض لمواقفه المُعْلَنَة من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ولم يقترب من جرائم الحرب التي يُمارسها الكيان الصهيوني اليوم في فلسطين ولبنان. توقفت وسائط التواصل الاجتماعي أمام حجم الزيارة، وتحدّثت عن أهمية الاتفاقات التي أُبرمت، ولم تغفل الإشارة إلى ضيوف رافقوا الرئيس الفرنسي، حيث جرى التنديد بحضور برنار هنري ليفي المعروف بخياراته الصهيونية، وبالأدوار التي يمارسها في خدمة المشروع الصهيوني في فرنسا.. وقد التقطت أعين (وآذان) الفاعلين الجدد في وسائط التواصل الاجتماعي مواقف ساخرة من وقائع الزيارة وحفلاتها، الأمر الذي يعبّر عن مواقف تدعو إلى التفكير في علاقة السياسة بالحياة، وعلاقتها بعوارض الزمن وإكراهاته. يحقّ لنا أن نتساءل أمام فيض المعطيات التي رسمت الفضاءات الافتراضية لزيارة ماكرون المغرب، وما قدّمه الإعلام الرسمي عن الزيارة، من كان منهما أكثر تعبيراً عن حقيقة ما تَمّ في الزيارة؟ وما هي أبعاد (ودلالات) المواقف التي جرى التعبير فيها عن بعض أوجه الزيارة وبعض علاقاتها وصورها؟ وهل يمكننا الحديث عن تكامل أدوار الفاعلين في المنتوج الذي برز في الإعلامين وعلاقته بكثير من أوجه التحوّل الجارية في عالمنا؟ ويمكن أن تضاف إلى ما سبق الإشارة إلى حجم التحولات وحجم المشاركة التي أصبحت تتيحها وسائط الاتصال الجديدة في بلورة المواقف، والتعبير عنها بكثير من الجهد وكثير من الخَلْط والتناقض.

(أكاديمي مغربي)

فشل مؤتمر بروكسل في أن يكون ديمقراطياً

عمّار ديّوب

عقدت قوىً سياسيّةٌ سوريّةٌ (25 و26 أكتوبر/ تشرين الأول الماضي) مؤتمراً سياسيّاً في بروكسل، وسعت في بيانها الختامي إلى أن تكون ممثّلةً للقوى الديمقراطية، باعتبار الأخيرة لا تحظى بالتمثيل الكافي في تيّارات المعارضة، وباعتبار أن الظروف السوريّة معقّدة للغاية؛ «تجزئة» و«تشرذم» و«انقسام»، بحسب البيان ذاته. يتجاهل البيان أن القوى الديمقراطية كانت مُمثّلةً في هيئة التنسيق الوطنية منذ يونيو/ حزيران 2011، وكانت موجودةً (وبفاعليةٍ) في المجلس الوطني السّوري في أواخر عام 2011، وكان لها دورٌ أساسيٌّ في الدعوة إلى تشكيل الائتلاف الوطني لقوى المعارضة في عام 2012، وكذلك في مؤتمر قوى المعارضة الموسّع في 2012 في القاهرة، ولكنّها، ولأسباب تخصّها فشلت في أن يكون لها ثقلٌ فاعلٌ في مسرح الصراع. وبالتالي، سيطرت قوىً أخرى على الهيئات السّابقة الذكر، واستقلّ حزب الاتحاد الديمقراطي بنفسه في شرق سورية، هاجراً هيئة التنسيق الوطنيّة، وغير قادر على أن يشكّل جهةً موثوقةً لاستقطاب السوريين، ورفضَ تمثيل القوى السياسية الكردية في الإدارة الذاتية، وفي قوات سوريا الديمقراطية (قسد) ومجلس سوريا الديمقراطية (مسد). إذ وجد ضالّته في السنوات الأخيرة في شخصيات «ديمقراطية»، كانت وظيفتها الأساسية

> إنتاج معارضة ممثّلة لسورية، وليس للقَوى المعارضة أو للسوريين الخارجين على سيطرة النظام فقط، هو ما يجب العمل لأجله

بالنسبة إلى «الاتحاد الديمقراطي» (وهو الأساس في «قسد» و«مسد» و«الإدارة الذاتية») جذب كوادر عربيةٍ للعمل في هذه الهيئات ولا سيّما «مسد»، رئاسة مشتركة، إعلام، صحافة، عقد لقاءات ومؤتمرات في أوروبا للدعاية للهيئات السياسيّة أعلاه.

انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات من اللقاءات المتكرّرة بهدف توحيد القوى الديمقراطية السوريّة، وانتهى إلى تشكيل أمانةٍ عامّةٍ تتكوّن من 21 شخصية تدور في فلك «مسد»، ومنها 12 شخصية منتمية إليها. كانت أغلبية الحضور في المؤتمر من «مسد» و«قسد»، سواء أكان حضوراً فيزيائيّاً أم افتراضياً، وهذا يعبّر عن عدم ثقة الهيئات الكردية بالعرب المُستقطَبين فظلّت لها الغلبة الساحقة. وبالتالي، هذا المؤتمر يخصّ فقط حزب الاتحاد الديمقراطي، ولم تُدعَ إليه حتى أحزاب المجلس الوطني الكردي.

أثار بعض المدعوين قضايا ليست جديدةً، وإنما يُتطرَّق إليها منذ سنوات، مثل لماذا لا يقطع «الاتحاد الديمقراطي» علاقته الكاملة بحزب العمّال الكردستاني (الأول يُعدُّ ذراع الأخير في سورية)؟ ولماذا تسيطر «الإدارة الذاتية» على أغلبية ثروات سورية النفطية؟ وأين تذهب أموالها؟ ولماذا لا تتشكّل هيئة مستقلّة عن الإدارة الذاتية ولا توزّع العوائد على السوريين النازحين والمهجّرين، وعلى مختلف المناطق الخارجة على سيطرة النظام، أو تقام مشاريع اقتصادية لاستيعاب العمالة؟ ... نستنتج، بالتالي، أنْ ليس هناك أيّ شفافية مالية، وهناك العلاقة السياسية والأمنية لـ«الاتحاد الديمقراطي» مع النظام، وهي علاقة قديمة قبل عام 2011، ولم تنتهِ، وهو ينسّق مع النظام في المناطق كافّة التي تسيطرا عليها «قسد» و«مسد». أيضاً هناك، عدم الإصرار على الالتزام بالقرارات الدولية، وحتى في بيان بروكسل، أُورِد القرار 2254، من دون الإشارة إلى تشكيل هيئة حكم كاملة الصلاحيات، وهذا صلب محتوى القرار، وجرى تجاهل القرار 2118 الأكثر أهمّيةً، بينما كان بالإمكان الإشارة إلى القرارين وسواهما. لم تُناقَش المسائل السابقة، علماً أنّها من أكثر القضايا أهمّيةً أثيرت مع «قسد» و«مسد» من الأميركيين والأتراك والعرب السوريين، وهذا يعني أن «الاتحاد الديمقراطي» يرفض حتى الضغط الأميركي باتجاه إنهاء العلاقة مع حزب العمّال الكردستاني، ويضع نفسه في جفاءٍ كبيرٍ مع الدول والسوريين بمن فيهم الأكراد (!)

هل حاول مؤتمر بروكسل ملاقاة توجّهٍ أميركيٍّ وغربيٍّ في ظلّ المتغيّرات الكُبرى في منطقتنا، وبحثاً عن قوّة ديمقراطية سورية، يمكن الاستناد إليها، ويكون فضاؤها أكبر من «مسد» و«قسد» الكرديتين؟ إنّهما كرديّتان، وهذا لا يغفل وجود عرب فيهما، ولكنّ دورهم في غاية الهامشية، ولهذا نهمّشه مجدّداً؟ هكذا توجّه، أو حتى غيابه، يستدعي في الحالتَين وجوداً فاعلاً وبديلاً من المعارضة السورية (الائتلاف الوطني، «مسد»، الفصائل في الشمال)، التي فشلت في أن تمثّل مصالح السوريين. فشل المؤتمر في أن يكون صوتاً ديمقراطياً بالفعل، وأن يمثّل المرحلة الراهنة في سورية، التي (عدا عن المتغيّرات الإقليمية الواسعة)، يوجد فيها أصوات سورية قويّة؛ انتفاضة السويداء، والاحتجاجات الشعبية في إدلب، واعتصامات الكرامة في إعزاز والباب في الشمال السوري، وكذلك التذمّر الاجتماعي الواسع في المدن الخاضعة لسيطرة دمشق. فقد النظام السوري أشكال مشروعيته كلّها، ويشكّل التقدّم الصهيوني برياً في مناطق في الجولان وأرياف درعا دليلاً إضافياً على ذلك الفقدان. إن الوضع الاقتصادي والاجتماعي سيئ للغاية، وهناك الخلاف الذي يتعاظم مع إيران وحزب الله، وهناك التفكّك الواسع لما يسمى بالحاضنة «الطائفية» للسلطة. إن تعدّد أسباب فشل النظام كان يستدعي مؤتمراً واعياً لكافّة أوجه الأزمة السورية، ولكن هذا لم يكن من أهداف المؤتمر؛ فهل نقول إنّهم يعون أوجه الأزمة، ولكن لا يريدون مناقشتها؟

لقد فشل المؤتمر في تجميع القوى الديمقراطية وهناك كثير من هذه القوى لم تنضمّ إليه، والآن فَشِل في أن «يُدجّن» شخصيات وقوى جديدة في ضوء «مسد». لقد أضاعت «مسد» (والديمقراطيون المتعاونون معها من العرب) «فرصة العمر» في أن يشكّلوا قطباً ديمقراطياً يمثّل طموحات السوريين في الانتقال الديمقراطي نحو دولة تمثّل السوريين كافّة، بغض النظر عن القومية والدين والمذاهب والطوائف.

التعقيد الذي أصبح عليه الوضع السوري يستدعي بالفعل كثيراً من الورش واللقاءات والنقاشات السياسية. إن فشل مؤتمر بروكسل هو جزء من حالة الفشل العامّة للتيّارات المعارضة في سورية، وهذا سياق طبيعي. إن إنتاج معارضة ممثّلة لسورية، وليس للقوى المعارضة أو للسوريين الخارجين على سيطرة النظام فقط، هو ما يجب العمل لأجله، ولا سيّما في ظلّ التحدّيات الكُبرى التي تواجه السوريين. هل هذا ممكن؟ ... الأمر في غاية التعقيد أيضاً، فأن يُعقد مؤتمرٌ بعد الأزمة المفتوحة منذ عام 2011، ويكون بهذا الفشل كلّه، فهذا مؤشّر في غاية السلبية. هل يمكن أن يكون الفشل سبباً للبحث عن طرق جديدة لتشكيل المعارضة الجديدة؛ هذا هو الضروري في هذه اللحظة.

(كاتب سوري)

فاز ترامب بأصوات كارهيه

جيرار ديب

قال دونالد ترامب «حققنا نصراً سياسيّاً لا مثيل له، سيسمح بجعل أميركا عظيمة مرة أخرى»، وأضاف أن «أميركا ستدخل عصراً ذهبيّاً». على وقْع تقدّمه في التصويت الشعبي واقترابه من حسم أصوات المجمع الانتخابي لصالحه مع حصده 267 صوتاً مقابل 224 لمنافسته الديمقراطية كامالا هاريس، قبل إقفال كل الصناديق رسميّاً، خاطب المرشح الجمهوري دونالد ترامب أنصاره من مقرّ حملته في فلوريدا، معلناً فوزه في الانتخابات الرئاسية الأميركية. خاض ترامب معركته الرئاسية الثالثة في ظلّ عالم يعيش توتراته السياسية والأمنية، بعدما اعتمدت إدارة الرئيس جو بايدن على سياسة «الاحتواء» لكل من الصين وروسيا، وتبنّيها مساندة إسرائيل في حربها مع إيران، ومن معها في المحور في الشرق الأوسط. اعتبرت كل من روسيا والصين أن قرار بناء العالم الجديد اتّخذ، ولا عودة عنه، وأن ما نتج عن قمة مجموعة «بريكس»، في قازان الروسية، في الشهر الماضي

> أحلام كثيرة يحملها ترامب إلى البيت الأبيض، لكنّ العقبات في تحقيقها باتت أكبر

(أكتوبر/ تشرين الأول)، من قرارات، منها إيجاد عملة تجارية بديلة عن عملة الدولار الأميركي، باتت في حكم التنفيذ. لهذا يتساءل بعضهم عن أي طريق عودة إلى «أميركا العظيمة» سيسلكها ترامب؟ وماذا عن «العصر الذهبي الأميركي» الذي نطق به في زمن بات على أعتاب ما بعد «الأمركة»؟

«فاز ترامب» نعم، ولكنّ فوزه بولاية ثانية يختلف عن فوزه في ولايته الأولى، فالرجل لم يكن معروفاً في الساحة السياسية العالمية، هو الآتي من عالم المال والتجارة، لكن عالم اليوم بات يدرك كيف يفكّر، وما هي الخطوات التي سيتّخذها في البيت الأبيض، ولا سيما في ما يتعلق بالمواضيع الساخنة التي تدور على أكثر من ساحة دولية، لهذا استعدّ لها، وعقد على ترامب تحقيق أمنياته. عالم اليوم مختلف عن عالم عام 2020 عندما غادر البيت الأبيض. كما أن الأصوات التي حصل عليها ترامب في انتخابات عام 2016 لم يحصل عليها جميعاً في انتخابات عام 2020 فخسر المعركة أمام بايدن. واليوم مع إعلانه الفوز، على مستشاريه أن يدركوا أن نسبة الأصوات التي جاءت به رئيساً لا تعني أنها تؤيد سياساته، ولا تعني أنها تصدّق كل الوعود التي أطلقها في حملته الانتخابية. بل تعني أنها ستكون عائقاً أمام سياساته الداخلية كما الخارجية، إن تنصّل مما وعد به، وفي مقدمة هذه الأصوات أصوات الجالية العربية والإسلامية في الداخل الأميركي. تشكّل شخصية ترامب على مستوى الدبلوماسية الخارجية لأميركا مصدر قلق، تحديداً في علاقات بلاده مع حلف شمال الأطلسي وروسيا. ففي وقتٍ يعتبر فيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وصول ترامب إلى سدّة الرئاسة سيعطي أملاً أفضل لإنهاء الصراع الحاصل في شرق أوروبا، يعتبر الحلف أنه مستعد لكل السيناريوهات، لا سيما التي حملت تهديدات مباشرة من ترامب بوجوب تسديد دوله الأعضاء التزاماتها المالية، وإلا فما على واشنطن إلا الانسحاب.

هنأ الأمين العام لحلف شمال الأطلسي (الناتو) مارك روته المرشّح الجمهوري للرئاسة الأميركية دونالد ترامب بفوزه، مؤكّداً أنه «سيُبقي الحلف قوياً»، قائلاً «نتطلع إلى العمل مع ترامب لتعزيز السلام». لا خيار أمام ترامب من الذهاب بعيداً في «فك الارتباط» بحلف الناتو، لا سيما بعدما وقفت روسيا أمام أميركا العظمى التي يحلم بعودتها إلى عصرها الذهبي. فالانعزالية الأميركية عن أوروبا لن تضعفها بقدر ما ستجعل من روسيا أقوى، وهنا يكمن التهديد الحقيقي للولايات المتحدة. لهذا، خطت الدول الأوروبية خطواتٍ استباقية، وزادت حوالي 2% ناتجها القومي لتمويل موازنة الدفاع في أغسطس/ آب الماضي، كما أن الدول الأوروبية تتجه نحو تنشيط ترسانتها العسكرية بشكلٍ يحاكي التحدّيات على الساحة الدولية. بات الوضع اليوم في ولاية ترامب الثانية أكثر تعقيداً على واشنطن مع روسيا، وما صرّح به ترامب سابقاً وأعطى حافزاً روسيّاً نحو تمنّي فوزه، وضع الأخير أمام معضلة على الساحة الدولية، فهو في مكان لا يستطيع محاكاة روسيا بالتفاهمات، وفي الوقت نفسه، يعلن الحرب على الصين وإيران. لأنّ حرب أوكرانيا سرّعت التلاقي بين الدول الثلاث، وجعلت من حلفهم مقدّساً، وأرست شراكةً لا مثيل لها على الساحة الدولية. أحلام كثيرة يحملها ترامب إلى البيت الأبيض، لكنّ العقبات في تحقيقها باتت أصعب، وما كان يهدّد به في ولايته الأولى، سيصبح تمنيات في الولاية الثانية. لهذا، يتوقّف الأمر عند حكمة ورؤية من سيدير القرار في البيت الأبيض، فعلى ما يبدو ترامب 2016 ليس ترامب 2024، فللمراحل العمرية دور في اتخاذ القرار، فهل سنجد بايدن آخر لإدارة القوة العظمى في العالم؟

(كاتب لبناني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads